أنا بِنعمتك قَدّيس

كنيستُنا

العدد ١٦ | حزيران ٢٠١٨
أبرشيّة أنطلياس المارونيّة

ما الإنسان حتى يذكره الله؟

أنظرْ أيّها الإنسان من حولِك فترى الخلائقَ كلّها في غاية العظمةِ والجمال! ترى الجبالَ بشموخِها تتوق لتُلامس قمَمُها السّماوات، والفضاءَ كلّه بوسعهِ اللامُتناهي يجعلُنا نتأمّلُ سَرمديّةَ الخالق ولامحدوديّته. ترى البحار فتدرك أنّ أعماقَها لا تُسبر، تمامًا كما أنّ الله خالقها عظيمٌ لا يُدرَك سِرّه. ترى الكائنات كلّها بحكمةٍ خُلِقَت، وبتناغمٍ نُظِمت!

عُد أيّها الإنسان وانظر حالَك، تجد أنّك مجبولٌ بالهشاشة، فيحارُ عقلُكَ أمام عظمة الله وكلّ صنائعه: ما الإنسان حتّى يذكره ويفتقده؟ ولكنّك تُخطِئ إذا ما بَقيتَ على مُستوى هشاشتك! فالله تبنّاكَ بابنِهِ الوحيد، كي يعضُدَ بقدسيَّتِهِ هشاشتك، وجَعَلَ من جسدِكَ، بفعل روحِهِ القدّوس؛ هيكلًا حيًّا لسُكناه، فتَحُلَّ عظمته في ضعفِكَ. وتتجلّى فيكَ صورتَهُ الّتي وِفقِها خَلَقَكَ، كما يتلألأ كنزٌ ثمينٌ في آنيةٍ من خزف. وتتعلّق نفسك بالرّب تَعَلُّقَ صديقٍ أمينٍ بصديقِهِ.

فكّر بكلّ هذا أيّها الإنسان، تجد أنّك مدعوٌّ كي تكون: خادمًا للربّ حيثُما كانت خليقَتُهُ بحاجةٍ لمن يشهد أمامها عن عظمَةِ خالِقِها. جُنديًّا له، يسعى كي يحلَّ السّلامَ حيثُما كان الشرّ مُبَلبِلًا بين الخلائق. سفيرًا لله في كلّ مرّةٍ تنكَّرتِ الخليقة لوجودِ الخالق...
كيف لا تكون مدعوًّا وقد قال لكَ الله على لسانِ إرميا: "قبل أن أصوّرك في البطن عرفتك، وقبل أن تخرج من الرّحم [أيّها الإنسان] قدّستُك، وجَعَلتُك نبيًّا لأمم"؟ (إر ١ / ٥) كيف لا يكون ذلك وأنت، بنعمةِ الله، قدّيس؟

قداستي مشروعك

أسمعُكَ تدعوني قائلاً لي: أنتَ لي قدّيس!
أنا: مَن؟ أنا؟ أتتكلّم معي يا ربّ؟

الله: نعم أنتَ، خلقتُكَ مرّةً أولى على صورتي كمثالي، حرٌّ، وعندما لوّثَت الخطيئة صورتي فيك، خلقتُكَ مرّةً ثانية بابني يسوع لكي أعيد إليكَ هذه الطبيعة.

أنا: ولكن... يا ربّ، أنا ضعيفٌ وخاطىء، لا أستحقّ أن تدعوني قدّيسًا، إنّه أمرٌ بعيدٌ عنّي وعن واقع حياتي.

الله: أنا أحبُّكَ كما أنتَ بضعفِكَ وخطيئتكَ، أريدكَ أن تكون معي حيث أكون في كلّ زمانٍ ومكان.

أنا: لا أدري يا إلهي، فأنا أسعى جاهدًا لأسير على طريق القداسة الّتي دعوتَني إليها، وكلّما تقدّمتُ في المسير، أراني بعيدًا أكثر عن الوصول إلى الهدف.

الله: القداسة ليست مُجرَّدَ هدفٍ يا بُنَيّ! هي هدفُ الحياة، فلا تنسَ أنّكَ منّي أتيت وإليَّ ستعود.

أنا: ولكن... لماذا خلقتَ فيَّ هذا الضعف؟ إن أزلته منّي، لأصبح عدم الوقوع بالخطيئة أسهل...
الله: تكفيكَ نعمتي...

الأسرار مدخلنا إلى حياة القداسة

"إنّ غايةَ الأسرار هي تقديس البشر وبنيان جسد المسيح" (المجمع الفاتيكانيّ الثاني). إنّ غايةَ كلّ مسيحيّ هي القداسة واللّقاء بوجهِ يسوع المسيح، إذ إنّه هو مُعطيَ الحياة، ومنه نستمدّ السَّلام والفرح. أعطى يسوعُ رُسلَهُ النّعمةَ لكي يُعمّدوا ويُبشّروا ويَغفروا الخطايا، فيبقى المسيح دائمًا أساسَ الكنيسة وغايتَها.

تُشركُنا الكنيسة، بدورها، بالأسرار الّتي وَهَبَها إيّاها المسيح. فالأسرار هي عَمَلُ الكنيسة الّتي تُأوِّنُ عمَلَ المسيح، وترفعُ العالَم إليه. من هُنا، نفهم أنّ دورَ الأسرار هو إيصال المؤمن إلى لقاءٍ ملموسٍ وحقيقيٍّ بالمسيح، ومساعدته للاستعداد إلى اللّقاء الأسمى في اليومِ الأخير، فيلتقي الرّبّ وجهًا لوجهٍ في السّماء بلا خجلٍ ولا وجل.

كيف تُعلن الكنيسة قداسة الأفراد؟

من البديهي أن يكون الشّخص متوفيًّا أقلّه منذ خمس سنوات (باستثناء بعض الحالات)، إيمانًا منّا إنّه بجوار الله الآب. يطلب أحد المقرّبين منه (عائلة، أقرباء، أصدقاء، مكرّسون) من الأسقف بدء طلب إعلان القداسة.

يقوم عدد من اللاهوتيّين والمتخصّصين ببحثٍ رسميٍّ تّاريخّي أوّلًا (قراءة كتابات القدّيس ودراستها، وإجراء التحقيقات مع مَن عايشوه...)، ثمّ يرسل الأسقف طلب إعلان القداسة إلى روما.

عند قبول طلب إعلان القداسة، يحمل الشّخص تلقائيًّا لقب "خادم الله". يميّز "مجمع خاص للبحث بطلباتِ التقديس" إذا كان هذا الشّخص عاش بقداسةٍ مميّزةٍ خلال حياته. هل عاش الفضائلَ خلال حياته؟ هل قام بأعمالٍ محبّة تجاه الله والقريب؟ (قبول الكنيسة الجامعة وإجماع كافة أبنائها على قداسة السيرة...)

يقبل البابا طلب إعلان القداسة، فيُعلن الشّخص "مكرَّمًا" في الكنيسة. في حالة الشخص الشهيد (مَن أنّه مات من أجل إيمانه) يُمكن تطويبه بعد فترة من دون ضرورة قيامه بمعجزة، ولكن لا بدّ من معجزة واحدة على الأقلّ لاحقًا لإعلان قداسته.. أمّا إذا كان معترفًا، فيبدأ البحث عن مُعجزةٍ قام بها بعد موته علامةً لشفاعته عند الله، عمليّة التأكيد على المُعجِزة مُتعِبة وطويلة:

تتأكّد المُعجِزة وفق ثلاثة شروط: آنيّةُ التحقيق، طويلةُ الأمد، غيرَ قابلةٍ للتفسير العلمي. يتمُّ إجراءُ بحثٍ دقيقٍ من قبل علماء وأطباء. عند تثبيت المعجزة الأولى، يُعلَن الشّخص " طوباويًّا" في الكنيسة في احتفالٍ ليتورجيّ يُقام في بلده الأمّ، أو في بلد عاش فيه معظم فترات حياته. يبدأ البحث عن مُعجزة ثانية قام بها بعد التطويب: تتبع هذه المعجزة عمليّة التدقيق نفسها. عند تثبيت المُعجزة الثّانية، يُعلَن الشّخص " قدّيسًا " في الكنيسة.

رغبةٌ بالقداسة

إلهي، أُراسِلُكَ اليوم والخجَلُ يُسيطِر على قَلَمي. ما عساىَ أتضرّع وأسأل بعد أن اتّخذتَني ابنًا لك، فهل من صفةٍ أهمّ من البنوّة؟

إلهي، أتكفي الكلمات لكي أشكرك على كلّ نعمك الّتي وهبتني إيّاها، على فيض حبّك الّذي غمرتني به منذ الولادة؟ إلهي، بعد أن تجسّدت وحرّرتني من الخطيئة، أتسمح لي أن أطلب منك نعمة القداسة؟

أقول هذا يا أبتي، والتواضع يملأ حبر كتاباتي والتوبة تظهر بقلمي والحبّ يبرز بكلماتي. ورغم عدم استحقاقي لهذه النعمة، غير أنّي أعدك بأن أسعى جاهدًا من خلال أعمالي وأن أحبّ كثيرًا، وأغفر مرارًا خطيئة من ظَلَمَني، لأنّك أنت علّمتني التواضع، أيّها الطريق والحقّ والحياة...

إجذِبني إليك فأتقدّس بنعمتك وأستحق الحياة الأبديّة. آمين.

هل القداسة حكرٌ على أشخاصٍ مُحدّدين؟

من المُؤكّد أنّ الله لا يمنحُ القداسة للبعض ويمنعُها عن الآخرين، بل يُريدُ لنا جميعًا أن نكونَ كاملين كما هو كامل. وممّا لا شكَّ فيه أن الرّبَ يوجّهُ لكلِّ واحدٍ منّا دعوةً إلى القداسة: "كونوا قدّيسين لأنّي أنا قدّوس" (أح ١١/ ٤٥) وأيًّا كان وضعُكَ وحالُكَ فالرّب يدعوكَ، لذا لا يجب أن تفقد الشجاعة عندما تتأمّل أو تفكّر بأمثلةِ القداسة والّتي تبدو لك بعيدةَ المنال.

ويقولُ البابا فرنسيس في الإرشادِ الرسوليّ "إفرحوا وابتهجوا"، العدد ٧: "يطيب لي أن أرى القداسة في شعب الله الصّبور: في الأمّهاتِ والآباءِ الذّين يربّون أبناءهم بمحبةٍ كبيرة، وفي أولئِكَ الرّجال والنساء الذّين يعملون ليحملوا الخُبزَ إلى البيت، وفي المرضى والراهبات والمسنّات اللّواتي لا تفارق الابتسامة ثغورهنّ. هذه هي في أغلب المرّات، القداسة التي تقطن في قربنا".